
التوسّل
الله أكبر
آية الله السيد محسن الخرازي
الغدير

كلمة حول

التوسّل

تأليف

الأُستاذ المحقّق

آية الله السيّد محسن الخرّازي



مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي

ص.ب ٣٧٩٦ / ٣٧١٨٥ - ☎ ٧٧٣٩٩٩٩

اسم الكتاب : التوسل

المؤلف : آية الله السيد محسن الخرازي

الناشر : مركز الغدير للدراسات الاسلامية

الطبعة الاولى ********* ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

المطبعة *********** محمد

الكمية : ٢٠٠٠ نسخة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا سبيل الحقّ المبين، بنصب الحجج والبراهين، وأرشدنا إلى طريق إيطال المبطلين، وصلّى الله على محمّد أفضل المرسلين، وآله الطيّبين الطاهرين.

أمّا بعد، فقد جمع سيّدنا الأُستاذ العالم الجليل آية الله السيّد محسن الخرّازيّ (مدّ ظلّه العالي) في هذا الكتاب أدلّة قاطعة على مشروعيّة التوسّل ـ هنّ من أحسن البراهين ـ مؤيّداً بالنصوص الواردة في كتب الفريقين مع الأجوبة الواضحة عن شبهات المعاندين ومختتماً بتنبيهات مفيدة، أرجو أن تنفع جميع إخواننا من طوائف المسلمين.

والرجاء منهم أن يطالعوا هذه المباحث ويتفكّروا حولها فإنّ الوحدة التي أُمرنا بها لاتحصل إلاّ بتقريب الأفكار وهو لايتحقّق إلاّ بالمطالعة والتفكّر واختيار الصواب.

ولايخفى أنّ للمؤلّف كتباً ورسائل قيّمة مشحونة بالتحقيقات والمطالب الهامّة ومنها «بداية المعارف الإلهيّة» وذلك بعد أن قرّرت الشورى المركزيّة لإدارة الحوزة العلميّة بقمّ المشرّفة دروساً أُخرى في جنب الدروس الفقهيّة والأُصوليّة، فطلبت الشورى من سيّدنا الأُستاذ إلقاء أبحاث ومحاضرات حول العقائد الإماميّة لطلّاب العلوم الدينيّة فاستجاب الأُستاذ لهذا الطلب واتّخذ كتاب عقائد الإمامية ـ للعَلَم المعروف في الحوزات العلميّة آية الله الشيخ محمّد رضا المظفّر ﵀ ـ متناً لأبحاثه، لكونه جامعاً للمسائل الاعتقاديّة، وشرحه وعلّق عليه تتمياً وتبييناً، وسمّاه ببداية المعارف الإلهيّة في شرح عقائد الإماميّة.

ثبّتنا الله جميعاً على القول الثابت، وجعلنا من المتمسّكين بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.

وفي الختام أشكر إخواني الذين أعانوني في إعداد هذا الكتاب عموماً وسماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ خالد الغفوريّ خصوصاً، جزاهم الله خيراً ووفّقهم نحو مقاصدهم العالية.

ولله الحمد أوّلاً وآخراً

قمّ المقدّسة

السيّد عليّ رضا الجعفريّ

عيد الغدير ١٤٢٠ بعد الهجرة النبويّة

بسم الله الرحمن الرحيم

ويه نستعين

الحمد للّـه ربّ العـالمين، والصـلاة والسـلام عـلى أشرف الأنـبياء والمرسلين، حبيب اله العالمين، أبي القاسم محمّد وآله الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أمّا بعد: فهذه كلمة حول التوسّل عقدناها في فصلين وخاتمة.

الفصل الأوّل: بحث أدلّة مشروعيّة التوسّل.

والفصل الثاني: ردّ بعض الشبهات.

والخاتمة: في بيان بعض التنبيهات.

الفصل الأوّل

أدلّة مشروعيّة التوسّل

البناء العرفيّ والاجتماعيّ

لايخفى أنّ التوسّل أمر عقلائيّ، فإنّ السائل أو الخاطئ إذا رأى أنّ المولى أو سيّده أو والده أو أُستاذه لايتوجّه إليه، أو لايرضى عنه، لكثرة تمرّده عليه أو لعظمة مخالفته، توسّل إليه بوسيلة شخصٍ يكون عنده عزيزاً ومكرّماً، لإنجاز مراده ومقصوده. ومن المعلوم أنّ مصلحة الإعطاء أو العفو والإغماض حينئذٍ تتمّ وتكتمل بالتوسّل، ومع تكميل المصلحة يتوجّه أو يرضى المولى والسيّد، إذ لاينبغي للحكيم مع التكميل المذكور أن لايتوجّه، أو لايتقبّل توبة عبده وعذره.

هذا بناء عرفيّ عقلائيّ، يقوم على أساس الحكمة، وحيث إنّ الله سبحانه وتعالى في غاية الحكمة ونهايتها، فمع التوسّل بالأولياء والأنبياء

والصدّيقين والشهداء، يتوجّه للمتوسّل، ويقبل التوبة، ويغمض عن خطأ الخاطئ، ويعطي ويتفضّل قضاء لحكمته المطلقة.

والكلام هنا مفروض في التوسّل الذي لايشاب بشيءٍ من المنافرات، كعبادة الغير، إذ ليس مجرّد الخضوع بالنسبة إلى الغير عبادة للغير؛ لأنّ العبادة هي التأليه، وهو منفيّ في التوسّل. نعم لو كان مقروناً بها، لكان مبغوضاً ومنهيّاً عنه، ولكنّه خارج عن محلّ الكلام، وإنّما الكلام في التوسّل بالذين يتّصفون بالفضائل، ولايقاس بالتوسّل بمن يخاف الناس منه، أو تهوي أفئدة الناس إليه من جهة الشهوات أو الأُمور الباطلة.

فتحصّل: أنّ التوسّل ممّا بنى عليه العقلاء، وهذا الأمر مما لم يردع عنه الشارع المقدّس بشكل مطلق، وانما ردع في بعض أقسامه المشابة بالتأليه ونحوه، وعليه فيكون التوسل في الجملة سائغاً، ولامانع منه شرعاً. هذا بحسب الأصل والقاعدة.

وأمّا بحسب الآيات والروايات والسيرة فتفصيل البحث فيه كما يلي:

أوّلاً ـ الآيات:

١ ـ قوله تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا اللهَ وابتَغُوا إليهِ الوسيلةَ وجاهِدُوا في سبيلِهِ لعلّكم تُفلحونَ﴾[١].

---

(١) المائدة: ٣٥.

ـ بحث لغويّ

في المصباح المنير: وسلت إلى الله بالعمل أسل، من باب وعد: رغبت وتقرّبت. ومنه اشتقاق الوسيلة. وهي: ما يتقرّب به إلى الشيء، والجمع الوسائل.[١]

وفي النهاية: الوسيلة في الأصل: مايتوصّل به إلى الشيء ويتقرّب به.[٢]

وفي المجمع: الوسيلة: فعيلة من قولهم: توسّلت إليه، أي تقرّبت ـ إلى أن قال: ـ ويقال: وسل إليه، أي تقرّب.

وقال لبيد: بلى كلّ ذي رأي إلى الله واسل. الوسيلة الوصلة والقربة.[٣]

والأقرب هو استعمالها في الآية الكريمة بمعنى مايتقرّب به إلى الشيء، كما أنّها مستعملة فيه في قوله تعالى: ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة أيّهم أقرب**﴾[٤]... الآية، نظراً إلى تعقّبه بقوله: ﴿**أيّهم أقرب**﴾.

ولو سلّم استعمالها في القربة فلاتنفكّ عمّا يتقرّب به إلى الشيء، إذ القربة لاتكون إلّا بسبب شيء كقوله تعالى ﴿**واعبدْ ربَّك حتّى يأتيك**

---

(١) المصباح المنير: ٦٦٠.

(٢) النهاية ٥: ١٨٥.

(٣) مجمع البيان ٢: ١٨٩.

(٤) الإسراء: ٥٧.

اليقين.﴾[١] إذ المقصود هو سبب اليقين، وهو الموت. وعليه فما يتقرّب به من المداليل الالتزاميّة للقربة، فحينئذٍ لافرق بين أن يكون المراد من الوسيلة هو ما يتقرّب به إلى الشيء، أو القربة والوصلة.

ـ تفسير الآية

ولايخفى عليك أنّ الآية الكريمة تدلّ ـ والله أعلم ـ على أنّ المؤمنين يحتاجون في نيل الأهداف النهائيّة ـ وهي القرب والرضوان ـ إلى تحصيل التقوى، وهو خير الزاد، وإلى تحصيل مايتقرّب به إلى الله بجميع شؤونه من رضوانه وكشف مراداته، وإجابة دعواته.

وعليه فلفظ الوسيلة المحلّى بلام الجنس يعمّ جميع المقرّبات، فلا وجه لما في تفسير الكشّاف[٢] من اختصاصه بالطاعات وترك المعاصي مع عموميّة معناها، إذ ما يتقرّب به أو القربة، كما ينطبق على الطاعات وترك المعاصي، ينطبق أيضاً على مثل معرفة الأوصياء، ومحبّتهم، ومودّتهم، وتجليلهم، والأخذ عنهم، والاقتداء بهم، وتوسيطهم إليه تعالى في الدعاء، والاستشفاع بهم، لأنّها من أفضل القربات، ولا وجه لتخصيصها ببعض المقرّبات.

(١) الحجر: ٩٩.

(٢) الكشّاف ١: ٦٢٨.

ويؤيّد ذلك ـ أي التعميم ـ ما ورد في الأخبار، من التوسّل بالأنبياء، والأئمّة الطاهرين، وبفاطمة الزهراء عليها السلام، وبالقرآن، وبالملائكة المقرّبين، وبالإيمان،[1] أو التوسّل بصفات الله سبحانه وتعالى، كقوله عليه السلام:

«فإنّي بك إليك أتوسّل.»[2]

«أتوسّل إليك بأحبّ أسمائك إليك.»[3]

«أتوسّل إليك بتتابع إحسانك.»[4]

«أتوسّل إليك بتوحيدك.»[5]

«أتوسّل إليك بجودك.»[6]

و ماورد من الأخبار الدالّة على أنّ الأئمّة عليهم السلام هم الوسيلة بنحو المطلق.

وممّا ذكر يظهر ما في الميزان حيث جعل تطبيق الوسيلة على غير مورد

---

(١) راجع بحارالانوار١٠٢: ٦٨، ٩٥: ٢٣١، ٩٨: ٢٢٥، ٩٠: ١٦، ١٠٠: ١٢ وغير ذلك؛ مهج الدعوات: ١٦٦ ـ ١٦٨، منشورات مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت.

(٢) بحارالانوار٨٧: ١١٢؛ فلاح السائل: ٢٦٤.

(٣) المصدر السابق ٩٥: ٤٤٨؛ مهج الدعوات: ٢٤٠ وفيه مسائلك بدل أسمائك.

(٤) المصدر السابق ٩٥: ٤١٦، عن نسخة عتيقة.

(٥) المصدر السابق ٩٥: ٢٥٨، لم يذكر له مصدر.

(٦) المصدر السابق ٩٥: ٢٣١، مهج الدعوات: ١٦٦ وفيه: أتوسّل إليك وأتقرّب إليك بجودك.

الطاعات وترك المحرّمات من باب الجري والتأويل[١]؛ وذلك لما عرفت من أنّ الكلمة بإطلاقها منطبقة على الموارد المذكورة من دون حاجة إلى التأويل والجري.

وبالجملة، فالوسيلة بمعنى المقرّب أعمّ من أشخاص أهل البيت عليهم السلام والاعتقادات والطاعات والأخلاقيّات وغير ذلك من المقرّبات، ويشهد له ـ مضافاً إلى الأخبار الآتية ـ ما في نهج البلاغة من الجمع بين الايمان بالله ورسوله والطاعات حيث قال عليه السلام:

«إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون إلى الله سبحانه وتعالى الايمان به وبرسوله، والجهاد في سبيله فإنّه ذروة الإسلام[٢]، وكلمة الإخلاص فإنّها الفطرة، وإقامة الصلاة فإنّها الملّة[٣]، وإيتاء الزكاة فإنّها فريضة واجبة، وصوم شهر رمضان فإنّه جُنّة من العقاب، وحجّ البيت واعتماره فإنّهما ينفيان الفقر ويرحضان[٤] الذنب، وصلة الرحم فإنّها مثراة في المال ومنسأة[٥] في الأجل، وصدقة السرّ فإنّها تكفّر الخطيئة، وصدقة العلانية فإنّها تدفع ميتة

---

(١) الميزان ٥: ٣٦٢.

(٢) أي أعلاه.

(٣) أي الطريقة أو الشريعة.

(٤) أي يغسلان.

(٥) أي مطال فيه ومزيد.

السوء، وصنائع المعروف فإنّها تقي مصارع الهوان.»[١]

و من المعلوم أنّ الايمان غير الطاعات، ولذلك جعله ممّا تـوسّل بـه، ولاخصوصيّة في الايمان بالله ورسوله، إذ معرفة الائمّة عليهم السلام ومودّتهم ونحوهما تكون من الايمان كذلك، والمقصود من التـوسّل بـالايمان بـالله والرسـول والولاية والمعاد أنّ أصله وازدياده يوجب قرب المتوسّل إلى الله تعالى، وهو أمر مرغوب عند الشارع، وله أهمّيّة خاصّة.

بل الظاهر من كتاب (تفسير القرآن والعقل) هو شمول الآية الكـريمة للمنصوبين من قبل الأئمّة عليهم السلام، كالفقهاء في زمان الغيبة أيضاً، فإنّهم وسيلة إلى التوسّل إلى الله تعالى. ولابأس بذلك، لأنّهم ممّا يتقرّب بهم إلى الله تعالى بسبب نصب الائمّة عليهم السلام لهم.

نعم إن الفقهاء في طول الائمّة عليهم السلام، لا في عرضهم، وتشملهم الآية بعد قيام أدلّة الانتصاب والنيابة، حيث قال في ذيل الآية الكريمة: خطاب لأهل الايمان بالتقوى وصيرورة الايمان العلميّ عيناً، فيعاين له أنّ الحافظ من تمام الشرور هو الله كما ذكرنا مراراً أو أمر بالخوف من الله حتّى يأتوا بالواجبات ويتركوا المحرّمات، وبابتغاء الوسيلة وهو الوسيلة إلى التوسّل، أي الله بأيّ نحو كان مرضيّاً له من الأعمال ـ فعلاً وتركاً ـ والأخلاق ثبوتاً ونفياً.

وعلى ما ذكرنا يحتمل أن يكون المراد وَصِلُوا حبلكم بالواسـطة، إذ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١١٠؛ ج١ ص٢١٥، خطبة ١٠٦، شرح محمّد عبده.

ليس لكلّ أحد أن يتصل بالله من دون الواسطة، فلو أراد أحد لايكون من شأنه ذلك أن يتّصل من دون الواسطة يهوي ويسقط، لما ذكرنا سابقاً من بطلان الطفرة. فالاتّصال بحبل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، والوصيّ عليه السلام يكون لازماً، بل في زمن الغيبة يكون الاتّصال بحبل المنصوبين، لأن يتّصل الحبل إليهم يكون لازماً... إلخ.[1]

فتحصّل أنّ الآية الكريمة تدلّ على لزوم رعاية أمرين في الفلاح أحدهما التقوى، وثانيهما ابتغاء الوسيلة بمعناها العام، فقوله: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة.﴾[2] من باب ذكر العامّ بعد الخاصّ، كما أنّ قوله: ﴿وجاهدوا في سبيله﴾ من باب ذكر الخاصّ بعد العامّ. فابتغاء الإمام لتحصيل الأحكام وغيرها من الأُمور ابتغاء الوسيلة، كما أنّ ذكرهم في مقام طلب الحاجات أيضاً ابتغاء الوسيلة. فالمراد واضح، وهو مطلوبيّة تحصيل مايتقرّب إلى الله بجميع أنحائه.

ثمّ إنّ الأمر بابتغاء الوسيلة إليه تعالى لايختصّ بطائفة دون طائفة، بل يعمّ جميع الطوائف والآحاد؛ لأنّ الكلّ يحتاجون إلى ذلك، إمّا لما يجدون في أنفسهم من التقصير والقصور، وإمّا لاحتياجهم في سلوك الطريق الأعلى. بل أخذ معالم الدين لايمكن بدون الواسطة، فالكلّ محتاجون إلى ابتغاء

---

(١) القرآن والعقل ١: ٣٨٤ ـ ٣٨٥.

(٢) المائدة: ٣٥.

الوسيلة من جهة أو جهات، كما يشهد له ما ورد عن الائمّة عليهم السلام من: «أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخذ بحجزة ربّه، ونحن آخذون بحجزته، وأنتم آخذون بحجزتنا.»[1]

واعلم أنّ ابتغاء الوسيلة إليه تعالى يرجع إلى أخذ المقرّب إليه، فكلّ شيء ينافي التقرب إليه تعالى منفيّ بنفي الموضوع، فلايشمل عبادة الوسيلة؛ لأنّ عبادتها منافية للتقرّب إلى الله تعالى، إذ بالشرك لايتقرّب أحد إلى الله الواحد الأحد الصمد، فمن ابتغى وسيلة للتقرّب إليه تعالى ابتعد عمّا ينافي ذلك؛ لأنّه أخذ بالوسيلة للتقريب لا للتبعيد.

ثمّ إنّ التوسّل بالمعنى المصطلح من مصاديق ابتغاء الوسيلة من دون فرق بين أن يقول المتوسّل: أتوسّل به إلى الله، أو أتوجّه به إليه، أو أتشفّع، أو أقدّمه بين يدي حاجتي، وأن يقول: أسألك بفلان، أو بحقّ فلان، أو بحقّه

---

(١) التوحيد: ج ١: ١٦٥ وانظر الأحاديث التي تليه، جماعة المدرّسين ـ قم؛ المحاسن: ١٨٢ و ١٧٩ وانظر الأحاديث التي تليه، دار الكتب الإسلاميّة ـ قم؛ الميزان ٥: ٣٦٢ (ط طهران)؛ إحقاق الحقّ ٥: ٩٤ ـ ٩٦؛ وفيه: فتأخذ بحجزتي وأهل بيتك يأخذون بحجزتك وشيعتك يأخذون بحجزة أهل بيتك؛ ـ إحقاق الحقّ ٧: ١٧٥ وفيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: يا علي إذا كان يوم القيامة أخذت بحجزة الله وأخذت أنت بحجزتي وأخذ ولدك بحجزتك، وأخذ شيعة ولدك بحجزتهم، فترى أين يؤمر بنا؟! ـ إحقاق الحقّ ١٨: ٥٠٤ وفيه: وأهل بيته يأخذون بحجزة نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم وإن شيعتهم يأخذون بحجزهم يوم القيامة.

عليك، أو بجاهه عندك، أو ببركته، أو بحرمته عندك، وأن يـقول: أقسـمت عليك، أو أقسم عليك بفلان، أو نحوَ ذلك، وأن يقول لوليّ الله تعالى: أسألك أن تستغفر لي أو تشفع لي؛ إذ كلّها تؤول إلى شيء واحد، وهو جعله وسيلة وواسطة بينه وبين الله تعالى، لما له من المنزلة عنده تعالى، والكرامة لديه، وهو ابتغاء الوسيلة إليه تعالى، وليس فيها عبادة غير الله تعالى حتّى يكون ذلك شركاً في العبادة، كما ليس فيها توهّم الاستقلال حتّى يكـون شركاً ذاتيّاً، أو شركاً أفعاليّاً.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسولٍ إلّا ليطاع بإذنِ اللهِ ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً.﴾(١)

وفي جوامع الجامع: كان بين رجل من المنافقين وبين رجل من اليهود خصومة، فقال اليهوديّ: أُحاكم إلى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنّه علم أنّه لا يقبل الرشوة، وقال المنافق: بل بيني وبينك كعب بن الأشرف، فنزلت: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنّهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت و قد أُمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلّهم ضلالاً بعيداً * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين

---

(١) النساء: ٦٤.

يصدّون عنك صدوداً.[1]﴾[2]

وقوله تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول﴾ ... الآية، ناظر إليهم، و ردّ عليهم في التحاكم إلى الطاغوت، والإعراض عن الرسول، فإنّ الواجب هو الرجوع إلى الرسول وإطاعته في حكمه، فالتخلّف عنه ذنب لايغفر إلّا بتوبة المتخلّفين مع مجيئهم إلى رسول‌الله والاعتذار منه والاستدعاء منه للاستغفار لهم، وذلك ليس إلّا التوسّل والاستشفاع.

وقال الزمخشريّ في الكشّاف: ﴿ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ بالتحاكم إلى الطاغوت ﴿جاءوك﴾ تائبين من النفاق متنصّلين عمّا ارتكبوا ﴿فاستغفروا الله﴾ من ذلك بالإخلاص وبالغوا في الاعتذار إليك من إيذائك بردّ قضائك حتّى انتصبت شفيعاً لهم إلى الله ومستغفراً ﴿لوجدوا الله توّاباً﴾.[3]

ومن المعلوم أنّ الإعراض عن الرسول ذنب عظيم يحتاج مضافاً إلى توبة المعرضين والاعتذار من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى وساطة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالاستغفار لهم، ولعلّ مخالفة الإمام المعصوم عليه السلام أيضاً كذلك، كما يشهد له ما رواه في الكافي بسند صحيح عن عبدالله بن النجاشيّ، عن أبي‌عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿جاءوك فاستغفروا الله ...﴾ حيث قال: يعني ـ والله ـ

(1) النساء: 61 ـ 60.

(2) جوامع الجامع 1: 266.

(3) الكشّاف 1: 528.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليّاً عليه السلام»[١].

وهــذه الوســاطة والتــوسّل إذا كــانت نـافعة في غـفران المخــالفة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع ما فيها من القبح، تكون كذلك في غيرها بـطريق أولى، ولذلك ورد في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا دخلت المدينة فاغتسل قبل أن تدخل، أو حين تدخلها، ثمّ تأتي قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى أن قال عليه السلام ـ: اللّهمّ إنّك قلت: ﴿ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً﴾، وإنّي أتيت نبيّك مستغفراً تائباً من ذنوبي، وإنّي أتوجّه بك إلى الله ربّي وربّك ليـغفر لي ذنـوبي.[٢] وتـؤيّده روايات أُخرى ستأتي الإشارة إليها.

وكيف كان فالآية تـدلّ عـلى وجـوب التـوسّل في مـورد المخــالفة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويستفاد منه مشروعيّته في سائر الموارد بمفهوم الأولويّـة. والتوسّل لو كان شركاً لما أوجبه الشارع؛ إذ الشرك يأبى عن الاستثناء، كما أنّ الظلم يأبى عن الاستثناء، فإذا كان التوسّل بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مشروعاً كـان كذلك في حقّ أهل البيت عليهم السلام؛ لقيامهم مقامه بالنصوص المتواتـرة، ومـنها قـوله صلى الله عليه وآله وسلم: ومـن كـنت وسـيلته إلى الله تـعالى فـعليّ وسـيلته إلى الله عزّ وجلّ.[٣]

---

(١) الكافي ٨: ٣٣٤: ٥٢٦.

(٢) كنز الدقائق ٣: ٤٥٦ (ط تهران).

(٣) بحار الأنوار ٣٧: ٢٢٤.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿قال هل عَلِمْتُم ما فعلْتُم بيوسفَ وأخيهِ إذ أنتم جاهلون * قالوا أإنّك لأنت يوسف قال أنا يوسف و هذا أخي قد مَنَّ الله علينا إنّه من يتّق ويصبر فإنّ الله لايضيعُ أجر المحسنين * قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنّا لخاطئين * قال لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين.﴾[1]

إذ قول يوسف ـ على نبيّنا وآله وعليه السلام ـ: ﴿يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ بعد اعترافهم بذنبهم وقبح مافعلوا، وتقدّم يوسف عليهم ظاهر في وساطته لهم للمغفرة، كما أنّ اعترافهم بالتقصير في محضر يوسف وبعلوّ مقامه لعلّه ظاهر في توسّلهم به لعفوه و وساطته، وليس هذا إلّا التوسّل بمن يتقرّب إلى الله.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنّا كنّا خاطئين * قال سوف أستغفرُ لكم ربّي إنّه هو الغفور الرحيم.﴾[2]

دلالة هذه الآية على التوسّل واضحة؛ لأنّ إخوة يوسف بعد كشف تقصيراتهم طلبوا من أبيهم الاستغفار لهم مع الاعتراف بكونهم مذنبين، فوعدهم أبوهم بالاستغفار في وقت خاصّ، وليس ذلك إلّا التوسّل وابتغاء الوسيلة.

---

(١) يوسف: ٨٩ ـ ٩٢.

(٢) يوسف: ٩٧ ـ ٩٨.

روى العيّاشيّ في تفسيره عن محمّد بن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي‌عبدالله‌عليه‌السلام في قوله: ﴿سوف أستغفر لكم ربّي﴾ فقال: أخّـرهم إلى السحر، قال: يا ربّ إنّما ذنبهم فيما بيني وبينهم. فأوحى الله: إنّي قد غفرت لهم.[١]

٥ ـ قوله تعالى: ﴿فتلقّى آدم من ربّه كلماتٍ فتاب عليه إنّه هو التوّاب الرحيم﴾[٢]

قال في الميزان: التلقّي هو التلقّن، وهو أخذ الكلام مع فهم وفقه، وهذا التلقّي كان هو الطريق المسهّل لآدم‌عليه‌السلام توبته.

ومن ذلك يظهر أنّ التوبة توبتان: توبة من الله تعالى وهي الرجوع إلى العبد بالرحمة، وتوبة من العبد وهي الرجوع إلى الله بالاستغفار والانـقلاع من المعصية.

وتوبة العبد محفوفة بتوبتين من الله تعالى، فإنّ العبد لايستغني عن ربّه في حال من الأحوال، فرجوعه عن المعصية إليه يحتاج إلى توفيقه تـعالى وإعانته ورحمته حتّى يتحقّق منه التوبة، ثمّ تمسّ الحاجة إلى قـبوله تـعالى وعنايته و رحمته، فتوبة العباد إذا قبلت كانت بين توبتين من الله، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ثمّ تاب عليهم ليتوبوا[٣]﴾[٤].

---

(١) تفسير العيّاشيّ ٢: ١٩٦: ٨٠.

(٢) البقرة: ٣٧.

(٣) التوبة: ١١٩.

(٤) الميزان ١: ١٣٣.

قال في آلاء الرحمن: التلقّي هنا أخذ آدم للكلمات من الله باستقبال وقبول وتعلّم وعمل، ومقتضي السياق هو أنّ آدم ندم على مخالفة الله في أمره الإرشاديّ وأراد التوبة والرجوع إلى مقام الأولياء المتّبعين لإرشاد الله تعالى في العمل والترك، وصار يحاول الوسائل التي يتوب الله بها عليه فيعلّمه الله كلمات توقفه في مقام المنيبين وتعرّفه فضيلة ذوي الفضل.(١)

قال في الميزان: وأمّا أنّ هذه الكلمات ما هي؟ فربّما يحتمل أنّها هي ما يحكيه الله تعالى عنهما في سورة الأعراف بقوله: ﴿قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين﴾(٢) إلّا أنّ وقوع هذه الكلمات أعني قوله: ﴿قالا ربّنا ظلمنا...﴾ الآية قبل قوله: ﴿قال اهبطوا﴾(٣) في سورة الأعراف: ووقوع قوله: ﴿فتلقّى آدم ...﴾ الآية بعد قوله: ﴿وقلنا اهبطوا﴾(٤) في هذه السورة لا يساعد عليه.(٥)

فالمراد من الكلمات بحسب الآيات غير معلوم. نعم استفاضت الأخبار من طرق الفريقين على أنّ المراد من الكلمات أسماء أصحاب الكساء عليهم السلام، ولا ينافيها رواياتٌ أُخرى تدلّ على أنّ المراد منها هو الدعاء

(١) آلاء الرحمن ١: ٨٧.

(٢) الأعراف: ٢٣.

(٣) الأعراف: ٢٤.

(٤) البقرة: ٣٦.

(٥) الميزان ١: ١٣٣، ط الأعلميّ.

كما في آلاءالرحمن حيث قال: لامنافاة بين روايات الدعاء وروايات الاستشفاع بأهل البيت عليهم السلام، لجواز الجمع بينهما.(١)

وقال في كنز الدقائق بعد ما روى بعض روايات الدعاء: ولاينافي ما تقدّم؛ لإمكان الجمع، وكون تلك الكلمات للتحميد والتمجيد والاعتراف، والكلمات السابقة لإيجاب المغفرة واستحقاق المثوبة.(٢)

وذهب في الميزان إلى أنّ المراد من «الكلمات» هي الأسماء التي علّمها الله آدم، وقال: وأنّها موجودات عالية مغيبة في غيب السماوات والأرض، ووسائط فيوضاته لما دونها، لايتمّ كمال لمستكمل إلّا ببركاتها، وقد ورد في بعض الأخبار أنّه رأى أشباح أهل البيت وأنوارهم حين علّم الأسماء، وورد أنّه رآها حين أخرج الله ذرّيّته من ظهره ـ إلى أن قال ـ: و ورد في القرآن إطلاق «الكلمة» على الموجود العينيّ صريحاً في قوله: ﴿**بكلمةٍ منه اسمُه المسيح عيسى بن مريم**﴾(٣).

وكيف كان فالآية دالّة على توسّل آدم عليه السلام بالأئمّة عليهم السلام، إمّا بذكر أسمائهم عند الدعاء، أو بمعرفة وجود أهل البيت عليهم السلام وخضوعه لهم، ولعلّ التوسّل بذكر أسمائهم في الدعاء من آثار معرفته بهم، بل هنا أخبار كثيرة دالّة على توسّل الأنبياء والرسل بهم في الأحوال المختلفة.

(١) آلاء الرحمن ١: ٨٧.

(٢) كنز الدقائق ١: ٣٨٥.

(٣) آل عمران: ٤٥ وانظر الميزان ١: ١٤٨ ـ ١٤٩ (ط الأعلمي).

وقد خصّص العلّامة المجلسيّ ﷺ باباً في البحار أورد فيه روايات تتضمّن توسّل واستشفاع الأنبياء بهم صلوات الله عليهم، وقال في آخر الباب: أقول: قد مضى في أبواب أحوال الأنبياء عليهم السلام أخبار كثيرة في ذلك.[١]

٦ ـ قوله تعالى: ﴿**سيقول لك المخلّفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ...**﴾ الآية[٢].

بتقريب أنّ الآية تدلّ على جواز التوسّل بالنبيّ ﷺ لتحصيل المغفرة؛ لأنّه أمر شائع عند الأعراب فضلاً عن غيرهم، والآية لم تردع ذلك، وإنّما اعترض عليهم بأنّهم يقولون ما ليس في قلوبهم، يعني أنّهم لم يقولوا ذلك بجدّ.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿**فاعلم أنّه لا إله إلّا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلّبكم ومثويكم**﴾[٣].

بتقريب أنّ الآية تدلّ على أمره تعالى بالاستغفار للمؤمنين، وهو ليس إلّا التوسيط في حقّهم، فافهم.

إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) بحارالأنوار ٢٦: ٣١٩، باب ٧.

(٢) الفتح: ١١.

(٣) سورة محمّد: ١٩.

ثانياً ـ الروايات

ولايخفى أيضاً أنّ الروايات الدالّة على مشروعيّة التوسّل بالأنبياء والأولياء وأهل البيت عليهم السلام متواترة، وذكرتها العامّة والخاصّة في جوامع الحديث والتفاسير، ونحن نذكر نبذة منها:

القسم الأوّل ـ روايات العامّة:

وهي على طوائف:

الف ـ الروايات الدالّة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام هم الوسيلة:

منها: ما رواه القندوزيّ في ينابيع المودّة عن كتاب مودّة القربى عن عليّ كرّم الله وجهه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الائمّة من ولدي، من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله، هم العروة الوثق والوسيلة إلى الله عزّ وجلّ.(١)

ومنها: ما رواه في مرآة المؤمنين، عن الديلميّ مرفوعاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: من أراد التوسّل إليّ وأن يكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة فليصِل أهل بيتي ويدخل السرور عليهم.(٢)

---

(١) إحقاق الحقّ ١٣: ٧٥ عن ينابيع المودّة ٢: ٣١٨ ومودّة القربى: ٩٩ (ط لاهور) على ما في إحقاق الحقّ ١٨: ٥٠٤ وانظر البحار ٣٧: ٨٧.

(٢) إحقاق الحقّ ٩: ٤٢٤ و١٨: ٥٣١ ـ ٥٣٠ رواه عن مرآة المؤمنين للشيخ وليّ الله اللكهنوئيّ: ٧ وعن بغية المسترشدين: ٢٩٦ (ط مصر) وعن مفتاح النجا: ١٠٩ المخطوط وينابيع المودّة ٢: ٣٧٩ والشرف المؤبّد: ١١٤ وغيرهم.

ومنها: ما رواه ابن أبي‌الحديد في شرح نهج البلاغة عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها أنّها قالت في ضمن خطبتها أمام أبي‌بكر والمهاجرين والأنصار: فاتّقوا الله حقّ تقاته، وأطيعوه فيما أمركم به، فإنّما يخشى الله من عباده العلماء، واحمدوا الله الذي لعظمته ونوره يبتغي من في السموات والأرض إليه الوسيلة، ونحن وسيلته في خلقه، ونحن خاصّته ومحلّ قدسه، ونحن حجّته في غيبه، ونحن ورثة أنبيائه ... الخطبة.(١)

ب ـ الروايات الدالّة على أنّهم من حُجز الله:

منها: ما رواه في وسيلة المآل عن إبراهيم شيبة الأنصاريّ قال: جلست إلى الأصبغ بن نباتة قال: ألا أقرئك ما أملاه عليٌّ عليّ بن أبي‌طالب كرّم الله وجهه؟ فأخرج صحيفة فيها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أوصى به محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أهل‌بيته وأُمّته، وأوصى أهل‌بيته بتقوى الله ولزوم إطاعته، وأوصى أُمّته بلزوم أهل‌بيته، وأهل بيته يأخذون بحجزة نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم وأنّ شيعتهم يأخذون بحجزهم يوم القيامة وأنّهم لن يُدخلوكم باب خلاف، ولن يُخرجوكم من باب هدى.(٢)

ومنها: ما رواه الخوارزميّ في مناقبه بالإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: يا عليّ إذا كان يوم القيامة أخذت بحجزة الله وأخذت أنت بحجزتي

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد١٦: ٢١١.

(٢) إحقاق الحقّ١٨: ٥٠٤ عن وسيلة المآل للشيخ صفيّ الشافعيّ: ٥٩.

وأخذ ولدك بحجزتك وأخذ شيعة ولدك بحجزتهم، فترى أين يؤمر بنا؟![1]

ومنها: ما رواه ابن حسنويه الحنبليّ في درّ بحر المناقب بالإسناد إلى الأصبغ بن نباتة: لما ضرب أميرالمؤمنين عليه السلام الضربة التي كانت وفاته فيها ... ثمّ أغمي عليه عليه السلام ثمّ أفاق فقال لي: أقاعد أنت يا أصبغ؟

فقلت: نعم يا مولاي.

قال: أزيدك حديثاً آخر؟

قلت: نعم زادك الله مزيد كلّ خير.

قال: يا أصبغ، لقيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض طرقات المدينة وأنا مغموم قد تبيّن الغمّ في وجهي، فقال لي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أراك مغموماً، ألا أُحدّثك بحديث لاتغتمّ بعده أبداً؟ قلت: نعم. قال: إذا كان يوم القيامة نصب الله منبراً يعلو منابر النبيّين والشهداء، ثمّ يأمرني الله فأصعد فوقه، ثمّ يأمرك الله يا عليّ أن تصعد دوني بمرقاة، ثمّ يأمرالله ملكين يجلسان دونك بمرقاة، فإذا استقللنا على المنبر لايبقى أحد من الأوّلين والآخرين إلّا يرانا، فنادى الملك الذي دونك بمرقاة: معاشر الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أُعرّفه إيّاي، أنا رضوان خازن الجنان، ألا إنّ الله بمنّه وفضله وجلاله أمرني

---

(١) إحقاق الحقّ ٧: ١٧٥ عن مناقب الخوارزميّ ٢٩٦، (ط تبريز) وإحقاق الحقّ ٩: ٥٠٩ عن مقتل الحسين: ١٠٦، (ط نجف) للعلّامة أبي المؤيّد موفّق بن أحمد، بحارالأنوار ٦٨: ١٣٤ و ١٠٤، نقله عن صحيفة الرضا: ٩٢ ـ ٩٣، ح ٢٠ أمالي الشيخ المفيد: ٦، مع تفاوت يسير.

أن أدفع مفاتيح الجنّة إلى محمّد ﷺ وأنّ محمّداً قد أمرني أن أدفع إلى عليّ رضي الله عنه، فاشهدوا لي عليه، ثمّ يقوم ذلك الملك الذي تحت ذلك الملك بمرقاة وقام منادياً يسمع أهل الموقف! معاشر المسلمين من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أُعرّفه إيّاي، فأنا مالك خازن النيران ألا إنّ الله بفضله ومنّه وكرمه أمرني أن أدفع مفاتيح النار إلى محمّد ﷺ، وقد أمرني أن أدفع إلى عليّ فاشهدوا لي عليه.

فتأخذ مفاتيح الجنّة والنار فتأخذ بحجزتي وأهل بيتك يأخذون بحجزتك وشيعتك يأخذون بحجزة أهل بيتك.

قال: فصفقت بكلتا يديّ وقلت: إلى الجنّة يا رسول الله؟ قال: إي وربّ الكعبة.(١)

ج ـ الروايات الدالّة على التوسّل بمحبّتهم ومودّتهم:

منها: ما رواه في مودّة القربى عن جابر بن عبدالله الأنصاريّ قال: كان رسول الله ﷺ يقول توسّلوا بمحبّتنا إلى الله واستشفعوا بنا، فإنّ بنا تكرّمون وبنا تحيون وبنا ترزقون، فإذا غاب منّا غائب فمحبّونا أُمناؤنا غداً كلّهم في الجنّة.(٢)

ومنها: ما رواه القندوزيّ في ينابيع المودّة عن جابر عن

(١) إحقاق الحقّ٥: ٩٤ ـ ٩٦ عن «درّ بحر المناقب»: ٨٦ المخطوط وبحارالأنوار٤٠: ٤٥ ـ ٤٦ نقله عن الروضة: ٢٢ و٢٣.

(٢) إحقاق الحقّ١٨: ٥٢١ عن مودّة القربى: ٣١ ط لاهور.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: توسّلوا بمحبّتنا إلى الله تعالى، واستشفعوا بنا، فإنّ بنا تكرّمون وبنا تحيون و بنا ترزقون فمحبّونا أمثالنا غداً كلّهم في الجنّة.(١)

د ـ الروايات الدالّة على التوسّل بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حياته ومماته:

منها: ما رواه البيهقيّ ـ كما في خلاصة الكلام ـ عن أنس: أنّ أعرابيّاً جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يستسق به وأنشد:

أتيناك والعَـذْراء تُـدْمىٰ لبـانُها وقد شُغِلَتْ أُمّ الصبيّ عن الطفل

إلى أن قال:

وليس لنـــا إلّا إليك فـــرارنـــا وأين فرار الخلق إلّا إلى الرســل

قال أنس: لما أنشده الأبيات قام يجرّ رداءه حتّى رقى المنبر فـخطب ودعا لهم، فلم يزل يدعو حتّى أمطرت السماء وهو على المنبر.(٢)

ومنها: ما رواه في كنز العمّال عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: قدم علينا أعرابيّ بعد ما دفنّا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثة أيّام، فـرمى بـنفسه عـلى قـبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه فوعينا عنك، وكان فيما أُنزل عليك: ﴿**ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً**﴾(٣) وقد ظلمت وجئتك تستغفر لي، فنودي مـن القـبر: قـد غـفر

---

(١) إحقاق الحقّ ٩: ٤٢٢ عن ينابيع المودّة: ٢: ٢٦٦، ح ٧٥٤.

(٢) دلائل النبوّة، للبيهقيّ ٦: ١٤١، دار الكتب العلميّة.

(٣) النساء: ٦٤.

لك.[١]

ومنها: ما رواه البيهقيّ وابن أبي‌شيبة وغيرهم من أنّ الناس أصابهم القحط في خلافة عمر بن الخطّاب، فجاء بلال بن الحارث وكان من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا رسول الله استسق لأُمّتك ... فإنّهم قد هلكوا. فأتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وأخبره أنّهم سيسقون.[٢]

هـ ـ الروايات الدالّة على التوسّل بهم في الدعاء وقضاء الحوائج:

منها: ما رواه في «درّ بحر المناقب» بالإسناد يرفعه إلى ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لما خلق الله آدم سأل ربّه أن يريه ذرّيّته من الأنبياء والأوصياء والمقرّبين إلى الله عزّ وجلّ فأنزل الله صحيفة فقرأها كما علّمه الله تعالى إلى أن انتهى إلى محمّد النبيّ العربيّ صلى الله عليه وآله وسلم فوجد عند اسمه اسم عليّ بن أبي‌طالب، فقال آدم: وهذا نبيّ ولابعد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم نبيّ، فهتف بي هاتف يسمع صوته ولايرى شخصه: هذا وارث علمه وزوج ابنته ووصيّه وأبوذرّيّته عليهم السلام، فلمّا وقع آدم في الخطيئة فجعل يتوسّل إلى ربّه فيتوسّل إلى الله بعليّ وذرّيّته عليهم السلام، فتاب عليه.[٣]

ومنها: ما رواه الترمذيّ والنسائيّ والبيهقيّ والطبرانيّ بإسناد صحيح

---

(١) التبرّك لآية الله الأحمديّ: ١٤٧ نقله عن كنز العمّال ٢: ٣٨٥ ـ ٣٨٦، ح ٤٣٢٢ وكنزالعمّال ٤: ٢٥٨ ـ ٢٥٩، ح ١٠٤٢٢.

(٢) التبرّك لآيةالله الأحمديّ: ١٤٨.

(٣) إحقاق الحقّ ٤: ٩١ و درّ بحرالمناقب: ١١٤ المخطوط.

عن عثمان بن حنيف و هو صحابيّ مشهور: أنّ رجلاً ضرير البصر أتى النبيّ ﷺ فقال: أُدع الله لي أن يعافيني. فقال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك. قال: فادعه. فأمره أن يتوضّأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبيّ الرحمة يا محمّد إنّي توجّهت بك إلى ربّي من حاجتي لتقضى لي، اللّهمّ شفّعه فيّ، فقام وقدأبصر.(١)

ومنها: ما رواه الحموينيّ في فرائد السمطين عن النبيّ ﷺ أنّه قال: لما خلق الله تعالى أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمينة العرش فإذا نور خمسة أشباح سجّداً وركّعاً قال آدم: يا ربّ هل خلقت أحداً من طين قبلي؟ قال: لا يا آدم. قال: فمن هؤلاء الخمسة الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي.

لولاهم ما خلقت الجنّة والنار ولا العرش ولا الكرسيّ ولا السماء ولاالأرض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجنّ.

فأنا المحمود وهذا محمّد، وأنا العالي وهذا عليّ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين.

آليت بعزّتي أنّه لا يأتيني بمثقال حبّة من خَرْدَل من بغض أحدهم إلّا أدخلته ناري ولا أُبالي، يا آدم هؤلاء صفوتي بهم أُنجيهم وبهم أُهلكهم، فإذا

---

(١) سنن الترمذيّ ٥: ٥٦٩، ح٣٥٧٨، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت، المعجم الكبير للطبرانيّ ٩: ٣١ ح٨٣١١، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت.

كان لك حاجة فبهؤلاء توسّلي (توسّل ظ).

فقال النبيّ ﷺ: نحن سفينة النجاة، من تعلّق بها نجا، و من حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت.(١)

ومنها: ما رواه السمهوديّ في وفاء الوفاء عن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أُمّي بعد أُمّي و ذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده. قال: ثمّ دعا رسول الله ﷺ اسامة بن زيد و أبا أيّوب الأنصاريّ وعمر بن الخطّاب وغلاماً أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلمّا بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده و أخرج ترابه بيده، فلمّا فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثمّ قال: الله الذي يحيي ويميت وهو حيّ لايموت اغفر لأُمّي فاطمة بنت أسد و وَسِّعْ عليها مدخلها بحقّ نبيّك والأنبياء الذين من قبلي ... الحديث(٢)

وغير ذلك ممّا ورد في جوامع العامّة.(٣)

القسم الثاني: روايات الخاصّة:

فهي كثيرة جدّاً وقد أورد العلّامة المجلسيّ رحمه الله جملة منها في كتابه بحارالأنوار تربو على الخمسمئة رواية. وكيف كان فهي أيضاً على طوائف:

---

(١) إحقاق الحقّ ٩: ٢٠٣ عن الحموينيّ في فرائد السمطين ١: ٣٦ ـ ٣٧ وعن أرجح المطالب: ٤٦١ ط لاهور.

(٢) كشف الارتياب: ٣١٢ عن وفاء الوفاء ٤ ـ ٣: ٨٩٨ ـ ٨٩٩.

(٣) الدرّ المنثور ١: ٥٩.

الف ـ الروايات الدالّة على أنّ الأئمّة عليهم السلام هم الوسيلة:

منها: ما رواه الصدوق في العيون عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الأئمّة من ولد الحسين عليه السلام، من أطاعهم فقد أطاع الله و من عصاهم فقد عصى الله، هم العروة الوثقى، وهم الوسيلة إلى الله تعالى.[١]

وحذف المتعلّق يدلّ على العموم، فهم وسيلة في الفيوضات وإبلاغ الأحكام وإجابة الدعوات ورفع البلايا وغير ذلك.

ومنها: ما رواه الصفّار في بصائر الدرجات عن سلمان الفارسيّ، عن أميرالمؤمنين عليه السلام في قول الله تبارك و تعالى: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَنْ عنده علم الكتاب﴾[٢] فقال: أنا هو الذي عنده علم الكتاب، وقد صدّقه الله وأعطاه الوسيلة في الوصيّة لايخلى الله من وسيلته إليه وإلى الله، فقال: ﴿يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾[٣].[٤]

والمستفاد منه أنّ الأمر بابتغاء الوسيلة من دون وجود الوسيلة لايصدر عن الحكيم المتعال، فإذا صدر منه أمر بذلك فالوسيلة موجودة لامحالة في كلّ عصر وزمان.

---

(١) نور الثقلين ١: ٦٢٦.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) المائدة: ٣٥.

(٤) تفسير البرهان ١: ٤٦٩ وبحارالأنوار ٣٥: ٤٣٢ وبصائر الدرجات: ٢١٦، ح ٢١.

ومنها: ما رواه المجلسيّ في بحارالأنوار عن جابر، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ... ونحن الوسيلة إلى الله والوصلة إلى رضوان الله.[(١)]

ومنها: ما ورد في دعاء الندبة: وجعلتهم الذرائع[(٢)] اليك والوسيلة إلى رضوانك.[(٣)]

ومنها: ما رواه ابن شهر آشوب في مناقبه قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام في قوله تعالى ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾: أنا وسيلته.[(٤)]

ب ـ الأدعية المأثورة التي تحتوي على التوسّل بالأئمّة عليهم السلام:

ولايخفى عليك أنّ تلك الأدعية كثيرة جدّاً بحيث تزيد على حدّ التواتر:

منها: دعاء الندبة ودعاء التوسّل ودعاء أبي حمزة الثماليّ وغيرها من الأدعية والزيارات.

روى في البحار عن خصائص الأئمّة عليهم السلام عن أميرالمؤمنين عليه السلام: فقل اللّهمّ إنّي أتوجّه إليك بنبيّك نبيّ الرحمة وأهل بيته الذين اخترتهم على العالمين .[(٥)]

---

(١) بحارالأنوار ٢٥: ٢٣.

(٢) الشفعاء والوسائل.

(٣) بحارالأنوار ١٠٢: ١٠٤؛ مصباح الزائر، لابن طاووس: ٤٤٦. طبع وتحقيق مؤسّسة آل البيت.

(٤) المناقب، لابن شهرآشوب ٤: ٤٣١، تفسير البرهان ١: ٤٦٩.

(٥) بحارالأنوار ٤١: ٢٤٠ والخرائج ٢: ٥٥٧، ط نجف.

وأيضاً روى في البحار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال في ضمن دعاء: ويقول: يا محمّد يا عليّ يا جبرئيل بكم أتوسّل إلى الله، ثمّ يسجد ويكرّر هذا القول ويسأل حاجته.[1]

وروى في الكافي عن داود الرقّي قال: إنّي كنت أسمع أباعبدالله عليه السلام أكثر ما يلحّ به في الدعاء على الله بحقّ الخمسة، يعني رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم.[2]

وغير ذلك من الأدعية والزيارات المذكورة في البحار وغيره من كتب الأدعية والزيارات.

ج ـ الروايات الدالّة على توسّل الأنبياء بأهل البيت عليهم السلام:

قال العلّامة المجلسيّ رحمه الله روايات هذا الباب كثيرة وأورد مايقرب على خمس عشرة رواية في فصل توسّلاتهم كما أشرنا إليه.

منها: ما رواه ابن بابويه في أماليه عن رجاله عن معمّر بن راشد قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: أتى يهوديّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقام بين يديه يحدّ النظر إليه فقال: يا يهوديّ ما حاجتك؟

قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبيّ الذي كلّمه الله وأنزل عليه التوراة والعصا وفلق له البحر وأظلّه بالغمام؟

---

(١) بحارالأنوار ٩٠: ٢٩٥؛ جمال الاسبوع؛ لابن طاووس: ٧٢.

(٢) الكافي ٢: ٥٨٠.

فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنّه يكره للعبد أن يزكّي نفسه ولكنّي أقول: إنّ آدم عليه السلام لمّا أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا غفرت لي فغفرها الله له، وإنّ نوحاً عليه السلام لمّا ركب في السفينة وخاف الغرق قال: اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا أنجيتني من الغرق فنجّاه الله منه، وإنّ إبراهيم عليه السلام لما أُلقي في النار قال: اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا أنجيتني منها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وإنّ موسى عليه السلام لمّا ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال: اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا أمنتني. فقال الله جلّ جلاله: ﴿لا تخف إنّك أنت الأعلى﴾. يا يهوديّ إنّ موسى لو أدركني ثمّ لم يؤمن بي وبنبوّتي ما نفعه إيمانه شيئاً ولا نفعته النبوّة. يا يهوديّ ومن ذرّيّتي المهديّ إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته فقدّمه وصلّى خلفه.[1]

قال في البحار: بيان: كلمة «لمّا» إيجابيّة بمعنى إلّا، أي أسألك في كلّ حال إلّا حال حصول المطلوب، وهو إلحاح ومبالغة في السؤال.

ومنها: بالإسناد يرفعه إلى ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لمّا نزلت الخطيئة بآدم وأُخرج من الجنّة أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم اُدع ربّك. قال: يا حبيبي جبرئيل ما أدعو؟ قال: قل: يا ربّ أسألك بحقّ الخمسة الذين تخرجهم من صلبي آخر الزمان إلّا تبت عليّ ورحمتني. فقال له آدم: يا

---

(١) أمالي الصدوق: ١٨١، ح ٤ وبحارالأنوار١٦: ٣٦٦ وتفسير كنز الدقائق١: ٣٨٠.

جبرئيل سمّهم لي. قال: ربّ أسألك بحقّ محمّد نبيّك وبحقّ عليّ وصيّ نبيّك وبحقّ فاطمة بنت نبيّك وبحقّ الحسن والحسين سبطي نبيّك إلاّ تبت عليّ ورحمتني. فدعا بهنّ فتاب الله عليه، وذلك قول الله تعالى ﴿فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه﴾[1] وما من عبد مكروب يخلص النيّة ويدعو بهنّ إلّا استجاب الله له.[2]

ومنها: ما رواه الصدوق في الخصال والعيون عن ابن عبّاس قال: سألت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه، قال: سأله بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عليّ فتاب الله عليه.[3]

ومنها: ما رواه السبزواريّ في جامع الأخبار عن أبي عبدالله عليه السلام: فلمّا أراد الله عزّ وجلّ أن يتوب عليهما جاءهما جبرئيل فقال لهما: فاسألا ربّكما بحقّ الأسماء التي رأيتموها على ساق العرش حتّى يتوب عليكما. فقالا: اللّهمّ إنّا نسألك بحقّ الأكرمين عليك محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة إلّا تبت علينا ورحمتنا، فتاب عليهما إنّه هو التوّاب الرحيم.[4]

---

(١) البقرة: ٣٧.

(٢) تفسير فرات الكوفيّ: ٥٧ وتفسير كنزالدقائق ١: ٣٨٠.

(٣) بحارالأنوار ٢٦: ٣٢٤ وبحارالأنوار ٢٦: ٣٢٦ نقله عن الخصال ١ـ٢: ٢٧٠ ومعاني الأخبار: ١٢٦، ح ١.

(٤) جامع الأخبار: ٤٤ ـ ٤٥ وبحارالأنوار ٢٦: ٣٢٢.

وغير ذلك من الأخبار.(١)

قال الشيخ المفيد: وقد روي أنّ أسماءهم كانت مكتوبة إذ ذاك على العرش وأنّ آدم لمّا تاب إلى الله عزّ وجلّ وناجاه بقبول توبته سأله بحقّهم عليه ومحلّهم عنده فأجابه. وهذا غير منكر في العقول ولامضادّ للشرع المنقول، وقد رواه الصالحون الثقات المأمونون، وسلّم لروايته طائفة الحقّ، ولا طريق إلى إنكاره، والله وليّ التوفيق.(٢)

د ـ الروايات الدالّة على التوسّل بمحبّتهم ومودّتهم:

منها: ما رواه الشيخ المفيد عن أنس بن مالك قال: كنت أنا وأبوذر وسلمان و زيد بن ثابت و زيد بن أرقم عند رسول الله إذ دخل الحسن والحسين فقبّلهما رسول الله، وقام أبوذر فانكبّ عليهما وقبّل أيديهما ثمّ رجع فقعد معنا، فقلنا له سرّاً: يا أباذر أنت رجل شيخ من أصحاب رسول الله وتقوم إلى صبيّين من بني هاشم فتنكبّ عليهما وتقبّل أيديهما. فقال: نعم لو سمعتم ما سمعت فيهما من رسول الله لفعلتم بهما أكثر ممّا فعلت. فقلنا: وماذا سمعت فيهما من رسول الله يا أباذر؟ قال: سمعته يقول لعليّ ولهما: يا عليّ والله لو أنّ رجلاً صام وصلّى حتّى يصير كالشنّ البالي إذاً ما تنفعه صلاته ولا صومه إلّا بحبّك يا عليّ، من توسّل إلى

(١) راجع البحار ١١: ١٧٢ و٢٦: ٣٢٢ و٢٢: ٣٢٤: ٣٣١.

(٢) المسائل السروية (ضمن مصنّفات الشيخ المفيد ٧): ٣٩ ـ ٤٠.

الله بحبّكم فحقّ على الله أن لا يردّه. يا عليّ من أحبّكم وتمسّك بكم فقد تمسّك بالعروة الوثقى.(١)

و من المعلوم أنّ محبّتهم دون مخالفيهم توجب تصحيح الخطوط الاعتقاديّة والعمليّة، إذ المحبّة تجذب المحبّ نحو المحبوب، فالمحبّة والتمسّك بهم من أوثق العرى التي تصون المتمسّك عن الضلالة والغواية.

وهذا المعنى ممّا تعضده الروايات الكثيرة المختلفة:

منها: ما رواه الصدوق في علل الشرائع عن الحسن بن عليّ عليهما السلام: ولولا محمّد والأوصياء من ولده كنتم حيارى كالبهائم لاتعرفون فرضاً من الفرائض، وهل يدخل قرية إلّا من بابها؟!(٢)

ومنها: ما رواه الطوسي في أماليه عن المفيد عن محمّد بن المثنّى الأزديّ أنّه سمع أباعبدالله عليه السلام يقول: نحن السبب بينكم وبين الله عزّ وجلّ.(٣)

ومنها: ما رواه الطبريّ في بشارة المصطفى عن أبي‌جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: من دعا الله بنا أفلح، ومن دعاه بغيرنا هلك واستهلك.(٤)

---

(١) بحارالأنوار٣٦: ٣٠١ ـ ٣٠٢.

(٢) بحارالأنوار٢٣: ٩٩ ـ ١٠٠ نقله عن علل الشرائع: ٢٤٩.

(٣) بحارالأنوار٢٣: ١٠١.

(٤) بحارالأنوار٢٣: ١٠٢ نقله عن بشارة المصطفى ٥: ٩٧، المطبعة الحيدريّة ـ النجف.

ومنها: صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: ذروة الأمر وسنامه مفتاحه وباب الأشياء و رضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته، أما لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدّق بجميع ماله وحجّ جميع دهره ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله حقّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان.(١)

ومنها: ما رواه الصدوق في الفقيه بإسناده عن أبي حمزة الثماليّ قال: قال لنا عليّ بن الحسين عليهما السلام: أيّ البقاع أفضل؟ فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم. فقال لنا: أفضل البقاع ما بين الركن والمقام ولو أنّ رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان ثمّ لقي الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً.(٢)

ثالثاً ـ السيرة القطعيّة:

لقد قامت سيرة الخلف تبعاً لسيرة السلف على التوسّل بالأولياء والأنبياء والرسل والمقدّسات الأُخر، وكان ذلك عندهم مرغوباً فيه

---

(١) الوسائل ١: ٩١ الباب ٢٩ من أبواب مقدّمة العبادات ح ٢ وكافي ٢: ١٦، ح ٥.

(٢) الوسائل ١: ٩٣ الباب ٢٩ من أبواب مقدّمة العبادات، ح ١٢ والفقيه ٢: ١٥٩ ح ١٧ وعقاب الأعمال: ٢٠٤ ح ٢ وأمالي الشيخ الطوسيّ ١: ١٣١.

ومطلوباً، وهو شاهد على أنّه يكون كذلك في الشرع، وإلّا لما صار كذلك.

بل هو ثابت في الشرائع السابقة وكان من سنن المرسلين وسيرة الصالحين، روى القسطلانيّ في شرح صحيح البخاريّ عن كعب الأحبار: أنّ بني إسرائيل كانوا إذا قحطوا استسقوا بأهل بيت نبيّهم.(١)

وقد عرفت دلالة الآيات الكريمة على توسّل آدم «على نبيّنا وآله وعليه السلام» و أبناء يعقوب (على نبيّنا وآله وعليه السلام) ولذلك أمر مالك إمام المذهب المالكيّ أبا جعفر المنصور أن يتوسّل بالنبيّ ﷺ ويستشفع به بعد موته وقال: هو وسيلتك و وسيلة أبيك آدم.(٢)

قال في كشف الارتياب: والأخبار صرّحت بتوسّل الصحابة بقبر النبيّ ﷺ بفتح كوة بينه وبين السماء للاستسقاء إلى أن قال: وفي وفاء الوفاء ما لفظه: وفي الوفاء لابن الجوزيّ من طريق أبي محمّد الدارميّ بسنده عن أبي الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة فقالت: فانظروا قبر النبيّ ﷺ فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتّى لا يكون بينه وبين السماء سقف. ففعلوا فمطروا حتّى نبت العشب وسمنت الإبل حتّى تفتّقت من

---

(١) كشف الارتياب: ٣٠٤، وإرشاد الساري ٢: ٢٣٨، سطر ٢٥، دار إحياء التراث العرابيّ ـ بيروت.

(٢) كشف الارتياب: ٣٠٣ ـ ٣٠٥ والتوسّل والوسيلة: ٦٧ ـ ٦٨، الحكاية عن مالك أنّه استشفع بقبر رسول الله ﷺ.

الشحم فسمّي عام الفتق.[١]

والأخبار تدلّ على استسقاء عمر بن الخطّاب بالعبّاس، فدعا فقال: اللّهمّ إنّا كنّا إذا أجدبنا نتوسّل بنبيّنا فتسقينا، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا، فسقوا.[٢]

وقد روي أنّ العبّاس قال في دعائه: وقد توجّه بي القوم إليك لمكاني من نبيّك.[٣]

وروى الطبرانيّ في الكبير عن عثمان بن حنيف: أنّ رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفّان في حاجة له وكان لايلتفت إليه ولاينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا إليه ذلك فقال له ابن حنيف: إئت الميضاة[٤] فتوضّأ ثمّ

---

(١) كشف الارتياب: ٣١٣؛ الوفاء، لابن الجوزي ٢: ٨٠١ (الباب التاسع والثلاثون: في الاستشفاء بقبره ﷺ) وكذا في سنن الدارميّ ١: ٤٣ (باب ما أكرم الله نبيّه ﷺ بعد موته) ووفاء الوفاء: ٥٥٩ و٥٦٠ (الباب الرابع، الفصل الحادي والعشرون: فيما روي من الاختلاف صفة القبر الشريف في الحجرة المنيفة) ووفاء الوفاء: ١٣٧٤ (الفصل الثالث: في توسّل الزائر به ﷺ).

(٢) كشف الارتياب: ٣١٤؛ صحيح البخاريّ ٢: ٣٤ (باب سؤال الناس الإمام الإستسقاء إذا قحطوا) ووفاء الوفاء: ١٣٧٥ (الفصل الثالث: في توسّل الزائر وتشفّعه بالرسول ﷺ).

(٣) كشف الارتياب: ٣١٥؛ ووفاء الوفاء: ١٣٧٥ (الفصل الثالث: في توسّل الزائر به ﷺ).

(٤) الميضاة: مِطهرةٌ كبيرة يتوضّأ منها. النهاية لابن الأثير ـ ميض ـ ٤: ٣٨٠.

إئت المسجد فصلّ ركعتين ثمّ قل: اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّنا محمّد ﷺ ونبيّ الرحمة، يا محمّد إنّي أتوجّه بك إلى ربّك أن تقضي حاجتي وتذكر حاجتك.

فانطلق الرجل فصنع ما قال ثمّ أتى باب عثمان فجاءه البوّاب حتّى أخذ بيده فأدخل على عثمان فأجلسه معه على الطنفُسة(١) فقال: حاجتك. فذكر حاجته وقضاها له.(٢)

ولم ينكر التوسّل أحد من أئمّة سائر المذاهب بل استحسنوه وبعضهم توسّل بنفسه. قال ابن حجر في الصواعق المحرقة: توسّل الإمام الشافعيّ بأهل البيت النبويّ ﷺ حيث قال:

آل النبيّ ذريعتي وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أُعطى غداً بيدي اليمين صحيفتي(٣)

روى الخطيب البغداديّ في تاريخ بغداد عن أبي عليّ الخلال شيخ الحنابلة أنّه قال: ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر عليهما السلام فتوسّلت به

---

(١) الطنفسة: البساط الذي له خمل رقيق. النهاية لابن الأثير ـ طنفس ـ ٣: ١٤٠.

(٢) كشف الارتياب: ٣١١ ووفاء الوفاء: ١٣٧٢ ـ ١٣٧٣ (الفصل الثالث: في توسّل الزائر وتشفّعه بالرسول ﷺ).

(٣) كشف الارتياب: ٣١٩؛ الصواعق المحرقة، لابن حجر: ٢٧٤ (المقصد الخامس: مما أشارت إليه الآية من توقير أهل البيت النبويّ عليهم السلام من الباب الحادي عشر في فضائلهم).

إلّا سهّل الله تعالى لي ما أُحبّ.(١)

نقل المروزيّ عن أحمد بن حنبل في منسكه: التوسّل بالنبيّ ﷺ والدعاء عنده.(٢)

وقال أبوبكر محمّد بن المؤمّل خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر خزيمة وعديلة أبي عليّ الثقفيّ مع جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى عليّ بن موسى الرضا بطوس يعني إلى قبره، قال فرأيت من تعظيمه ـ يعني ابن خزيمة ـ لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرّعه عندها ما تحيّرنا.(٣)

وروى أحمد بن حنبل عن ابن عبّاس: أنّه لمّا حضرت ابن عبّاس الوفاة قال: اللّهمّ إنّي أتقرّب إليك بولاية عليّ بن أبي طالب.(٤)

وقال روزبهان: وأمّا التوسّل بولاية عليّ فهو حقّ من أقرب الوسائل.(٥)

قال السمهوديّ الشافعيّ: إنّ الاستغاثة والتشفّع بالنبيّ ﷺ وبجاهه وبركته إلى ربّه تعالى من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين واقع في كلّ حال قبل خلقه ﷺ وبعد خلقه في حياته الدنيويّ ومدّة

---

(١) تاريخ بغداد ١: ١٢٠.

(٢) التوسّل والوسيلة لابن تيميّة: ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٣) الوهابيّة، إصدار مركز الغدير: ٧٦، نقله عن تهذيب التهذيب ٧: ٣٣٩.

(٤) إحقاق الحق ٧: ٤٥٢؛ نهج الحقّ وكشف الصدق: ٢٢٠ (حديث الطائر).

(٥) المصدر السابق.

البرزخ وعرصات القيامة.(١)

هذا بحسب ما ورد في كتب إخواننا العامّة.

وأمّا ائمّة أهل البيت وأصحابهم فسيرتهم جارية على التوسّل بجدّهم وجدّتهم فاطمة الزهراء وبآبائهم صلوات الله عليهم أجمعين، وهم أعرف بسنّة جدّهم، والأخبار الحاكية لها بلغت حدّ التواتر.

وبالجملة كان التوسّل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة الأطهار عليهم الصلوات والسلام أمراً شائعاً ومقبولاً عند العامّة والخاصّة.

روي عن عمّار بن ياسر و زيد بن أرقم قالا: كنّا بين يدي أميرالمؤمنين عليه السلام ـ إلى أن قال: ـ وإذا على الباب امرأة في قبّة على جمل، وهي تشتكي وتصيح: يا غياث المستغيثين ويا بغية الطالبين ويا كنز الراغبين ويا ذا القوّة المتين ويامطعم اليتيم ويارازق العديم ويا محيي كلّ عظم رميم ويا قديم سبق قدمه كلّ قديم، ويا عون من ليس له عون ولا معين ـ إلى أن قال: ـ إليك توجّهت وبوليّك توسّلت وخليفة رسولك قصدت فبيّض وجهي وفرّج عنّي كربتي. الحديث(٢)

وهو شاهد على أنّ التوسّل كان أمراً شائعاً بين آحاد الناس.

---

(١) كشف الارتياب: ٣٠٦ ووفاء الوفاء: ١٣٧١ (الفصل الثالث: في توسّل الزائر وتشفّعه بالرسول صلى الله عليه وآله).

(٢) بحارالأنوار ٤٠: ٢٧٧ والفضائل، لابن شاذان: ١٥٥ (كشف أمير المؤمنين عليه السلام امر العاتق الحامل) الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام : ١٤١ الحديث الثلاثون (مخطوطة).

الفصل الثاني

ردّ بعض الشبهات

١ ـ ما عن محمّد بن عبدالوهّاب من أنّ دعوة الصالحين والتوسّل بهم شرك أكبر؛ لقوله تعالى: ﴿اولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة أيّهم أقرب﴾(١) إذ بيّن فيها الردّ على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أنّ هذا الشرك الأكبر.(٢)

وأُجيب عنه: بأنّ الآية الكريمة ناظرة إلى التوسّل الرائج عند المشركين، لا الشائع عند المسلمين، والشائع عند المشركين هو ترك عبادة الله بعبادة الأولياء ثمّ التوسّل إلى عبادة الأولياء بعبادة الأصنام والأوثان ثمّ انتهوا إلى عبادة الأصنام والأوثان استقلالاً بالقرابين والذبائح كما يشير إليه

---

(١) الإسراء: ٥٧.

(٢) كشف الارتياب: ٣٠١.

قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لايضرّهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عندالله قل اتنبّئون الله بما لايعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عمّا يشركون.﴾[1]

فالمشركون بصريح الآية المذكورة عبدوا غير الله حتّى يقرّبهم إلى الله، وهذا أمر مختصّ بهم، وليس يقاس التوسّل عند المسلمين بعبادتهم، إذ المتوسّلون من المسلمين لايعبدون غير الله بل يسألون من الله بحقّ الأنبياء والأولياء أو يسألون من الأولياء والأنبياء أن يستغفروا لهم أو يسألوا لهم ما أرادوه، ولاعبادة بالنسبة إلى الوسائط أصلاً؛ ولعلّ منشأ التوهّم هو تخيّل أنّ الخضوع عند الأولياء والأنبياء عبادة، مع أنّ العبادة هي التأليه، وهو منفيّ في التوسّلات، ومطلق الخضوع ليس بعبادة، إذ نحن مأمورون بالخضوع بالنسبة إلى الوالدين والمعلّمين وكبار القوم وغيرهم، فلو كان مطلق الخضوع عبادة لزم أن يكون الشارع آمراً بعبادتهم، وهو غير صادر عن الشارع.

ثمّ إنّ المراد من الآية الكريمة التي استدلّ بها محمّد بن عبدالوهّاب هو تنبيه المشركين بأنّ الذين يعبدونهم هم لايستحقّون العبادة، لأنّهم أنفسهم كانوا في مقام ابتغاء الوسيلة إلى ربّهم ويستعلمون أيّهم أقرب إليه تعالى حتّى يسلكوا سبيله ويقتدوا بأعماله ليتقرّبوا إليه تعالى كتقرّبه ويرجون

---

(١) يونس: ١٨.

رحمته من كلّ ما يستمدّون به في وجودهم ويخافون عذابه فيطيعونه ولايعصونه، فالإنكار لايتوجّه إلى توسّل الأولياء وابتغائهم الوسيلة، وإنّما الإنكار متوجّه إلى المشركين من جهة عبادتهم إيّاهم، ويشهد له الآية السابقة عليه، وهي قوله: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلايملكون كشف الضرّ عنكم ولاتحويلاً.﴾(١)

وأمّا توسّل الأولياء وابتغاؤهم الوسيلة فهو على ما ذكرنا سابقاً من أنّه أمر مطلوب، وكانت سيرة المقرّبين والأولياء والصالحين عليه، كما ندبت إليه الآيات والروايات على ما مرّ من التفصيل.

٢ ـ ما حكي عن ابن تيميّة من أنّ التوسّل بعظيم عندالله يكون كالتوسّل إلى السلطان بخواصّه وأعوانه، فهذا من أفعال الكفّار والمشركين(٢).

والجواب عنه واضح ممّا مرّ من أنّ المتوسّل من المسلمين لايعبد إلّا الله، وإنّما يذكر اسم أوليائه تعالى عند الدعاء لكي يعطف توجّهه تعالى إليه ببركة أوليائه، وذلك بمثل قوله: أتوسّل بجاه محمّد وآله، أو أقدّمه أمام طلبتي، وهذا لايشبّه بعمل المشركين، فإنّهم كانوا يعبدون الأصنام عوضاً عن عبادة الله تعالى، وإن أراد من تشبيه التوسّل بأهل‌البيت بالتوسّل بخواصّ

---

(١) الإسراء: ٥٦.

(٢) كشف الارتياب: ٣٠٢ نقله عن رسالة الواسطة زيارة القبور لابن تيميّة.

السلطان بدعوى عدم وجود ملاك في الوسائط إلّا الأهواء الباطلة، فهو خلاف الحقّ والحقيقة وإنكار أوضح الواضحات، فإنّ أهليّة الأولياء والأنبياء أوضح من الشمس، وقياسهم بخواصّ السلطان إهانة وذنب لا يغفر.

٣ ـ ما حكي عن ابن تيميّة أيضاً من أنّه قال: وأمّا قول: بجاه فلان عندك، أو ببركة فلان، أو بحرمة فلان عندك افعل بي كذا. فهذا يفعله كثير من الناس، لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأُمّة أنّهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء، ولم يبلغني عن أحد من العلماء في ذلك ما أحكيه إلّا ما رأيت في فتاوي الفقيه أبي محمّد بن عبدالسلام أنّه لايجوز فعل ذلك إلّا للنبيّ إن صحّ الحديث في النبيّ.(١)

وأُجيب عنه:

أوّلاً: بأنّ ذلك مكابرة مع ما عرفت من الآيات والروايات المتواترة المرويّة في كتب الفريقين الدالّة على مشروعيّة التوسّل، هذا مضافاً إلى ما مرّ من أنّ التوسّل من سنن المرسلين وسيرة الصالحين.

وثانياً: بأنّ التوسّل لو كان عبادة لم يتفاوت الحال بين التوسّل بالحيّ

---

(١) كشف الارتياب: ٣٠٢ نقلاً عن (رسالة القبور، لابن تيميّة). والتوسّل والوسيلة، لابن تيميّة: ١٤٧ ـ ١٥٤ (العامّة إذا سألوا الله بنبيّه يخرجون عن المعنى الشرعيّ وقول العز بن عبدالسلام في فتاويه: لايجوز أن يتوسّل إلى الله بأحد من خلقه، والأدعية البدعية على ثلاثة مراتب).

وبين التوسّل بالميّت، فالشرك شرك في جميع الموارد، ولايقبل التخصيص، كما أنّ الظلم ظلم في جميع الموارد ويأبى عن التخصيص، فلا وجه لتجويزه حال الحياة دون المات.

وإن كان الإشكال من ناحية أنّ الميّت لايقدر على شيء ففيه ما لايخفى فإنّ الأنبياء والأولياء ﴿أحياء عند ربّهم يرزقون﴾ ولهم المكانة والشأن العظيم ويستغفرون لأحبّائهم والمتوسّلين بهم.

وثالثاً: ما في كشف الارتياب من أنّ العلّة في التوسّل هنا ظاهرة وهي الجاه والمكانة عند الله، فتعمّ كلّ ذي جاه و مكانة عنده تعالى بإطاعته له تعالى، ويخرج عن القياس المستنبط العلّة ويلحق بمنصوصها، بل العلّة في ذلك قطعيّة، وهي المكانة الحاصلة بالقرب والطاعة، لما هو المعلوم ضرورة ونصّاً من أنّه ليس بين الله وبين أحد هوادة وأنّ أكرم العباد عنده أتقاهم، وليس أحد خيراً من أحد إلّا بالتقوى.[١]

ورابعاً: بأنّ ابن تيميّة لو أراد الاحتياط لما حكم بكفر المتوسّل وشركه حتّى يتّبعه الوهّابيّون ويكفّروا المسلمين بما لم يجعله الله مكفّراً ويستحلّوا دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، فذلك قصور في الفهم بل إخلال بالنظام الإسلاميّ وتحريم لما أحلّه الله وندب الناس إليه، أعاذنا الله من شرور أنفسنا.

٤ ـ ما حكي عن ابن تيميّة من قوله: وقد يخاطبون الميّت عند قبره أو

---

(١) كشف الارتياب: ٣٠٦.

يخاطبون الحيّ وهو غائب كما يخاطبونه لو كان حاضراً وينشدون قصائد ويقول أحدهم فيها: يا سيّدي فلاناً ... اشفع لي إلى الله، سل الله لنا أن ينصرنا على عدوّنا، سل الله أن يكشف عنّا هذه الشدّة، أشكو إليك كذا و كذا. فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم ... هو أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين ...[١]

والجواب عنه واضح، إذ الشرك منتف في التوسّل المذكور، لأنّ المتوسّل لايعتقد استقلال من توسّل به في الوجود حتّى يكون شركاً ذاتيّاً كما لايعبده حتّى يكون شركاً في العبادة، بل يراه من المقرّبين، وأنّه توسّل به لوجاهته عند الله تعالى، وهذا ليس بشرك، والمخاطبة مع من جعله الله من الأحياء الذين يرزقون عند ربّهم أو مع من جعله الله عالماً في حال غيبته، ليس بشرك أيضاً لأنّه مخاطبة مع المخلوق الحيّ العالم بإذنه تعالى، فالاعتقاد بكونه مخلوقاً، وأنّه قد صار كذلك بإذنه تعالى ينافي الشرك.

ألا ترى أنّ المسيح على نبيّنا وآله وعليه السلام خلق الطير وأحيى الموتى ولم يكن ذلك شركاً لأنّه اقتدر عليه بإذنه تعالى، وهكذا علم من خاطبناه وحضوره بإذنه تعالى لا بالاستقلال فلايكون فيه شائبة الشرك كما لايخفى.

---

(١) التوسّل والوسيلة: ١٨ ـ ١٩ وكذلك : ١٥٨ (فصل ما لايجوز في حقّ أشرف الخلق وعند قبره أولى أن لايجوز عند قبور غيره). نقلاً عن التوسّل لضياء آباديّ: ١٣٢.

٥ ـ ما حكي عن ابن تيميّة من أن التوسّل بالأولياء والأنبياء بدعة، وهي محرّمة.[1]

والجواب عنه يظهر ممّا تقدّم حيث إنّ الآيات والروايات والسيرة تدلّ كما عرفت على مطلوبيّة التوسّل ومشروعيّته، والبدعة لاتنطبق على التوسّل بهم إذ هي إدخال ما ليس من الدين في الدين بقصد التشريع، إذ المقام من الدين، بل القول بأنّه ليس من الدين إنكار للدين لما تواتر عليه من مطلوبيّة التوسّل بهم.

٦ ـ ما حكي عن ابن تيميّة من أنّ الاستغاثة بميّت أو غائب من أعظم أنواع الشرك.[2] واستدلّ له بآيات ناهية عن دعوة غير الله تعالى كقوله عزّ شأنه: ﴿ومن يدع مع الله الهاً آخر لابرهان له به فإنّما حسابه عند ربّه إنّه لايفلح الكافرون﴾[3] وقوله تعالى: ﴿والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون﴾[4] وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولاتدع

---

(١) التوسّل والوسيلة لابن تيميّة: ٢١ والصراع بين الإسلام والوثنيّة للقصيميّ ١: ٦٤ و٦٥ والدعوة الإسلاميّة ٢: ٢٩ نقلاً عن التوسّل لضياء آباديّ.

(٢) كشف الارتياب: ٢٦٧ والتوسّل والوسيلة: ١٥٨ (فصل ما لايجوز في حقّ أشرف الخلق وعند قبره أولى أن لايجوز عند قبور غيره).

(٣) المؤمنون: ١١٧.

(٤) الأعراف: ١٩٧.

من دون الله ما لاينفعك ولايضرّك فإن فعلت فإنّك إذاً من الظالمين﴾[١].
بتقريب أنّ الآيات المذكورة ونظائرها نهت عن دعوة غير الله تعالى، والتوسّل بأهل البيت والأولياء والأنبياء دعوة غيره تعالى، فمقتضى الآيات هو ممنوعيّة التوسّل.

والجواب عنه: أنّ الممنوع هو دعوة غير الله مع الله، أو دعوة غير الله من دون الله، وكلاهما شرك، إذ فرض الوجودين المستقلّين أو المعبودين المستقلّين مساوق للشرك الذاتيّ أو الشرك العباديّ، ولكن التوسّل لايستلزم ذلك؛ لأنّ المتوسّل يعبد الله وحده، فلا يدعو غيرالله مع الله كما لايدعو غير الله في مقابل عبادة الله تعالى، فقوله تعالى: ﴿مع الله﴾ أو ﴿من دون الله﴾ كاف في تخصيص المنهيّ بفعل المشركين، فلايشمل التوسّل المجرّد عن العبادة كما هو المفروض في المقام. هذا مضافاً إلى الآيات الدالّة على مطلوبيّة التوسّل بالأولياء كقوله: ﴿يا أبانا استغفرلنا ذنوبنا إنّا كنّا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربّي إنّه هو الغفور الرحيم.﴾[٢]

فمقتضى الجمع بين هذه الآيات وتلك الآيات هو تخصيص المنهيّ بعبادة غير الله، لا الاستغاثة وطلب شيء منه.

على أنّه لو كان مطلق الطلب من الغير ممنوعاً لزم حرمة الاستعانة

---

(١) يونس: ١٠٦.

(٢) يوسف: ٩٧.

بالناس في الأُمور، بل حرمة الاستعانة من كلّ شيء، وهو ضروريّ البطلان ومخالف للآيات كقوله عزّ شأنه: ﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى﴾[١] وقوله تعالى: ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾[٢] وقوله تبارك وتعالى: ﴿فأعينوني بقوّةٍ أجعل بينكم وبينهم ردماً﴾[٣] وقوله عزّ وجلّ: ﴿قال يا أيّها الملأ أيّكم يأتيني بعرشها﴾[٤] والسيرة القطعيّة على مشروعيّة التعاون في الأُمور الظاهريّة والمعنويّة والتماس الدعاء والاستعانة في طلب المغفرة بين الناس من الواضحات، وتخصيص المنهيّ بدعاء الميّت أو الغائب لا ملاك له، إذ لو كان شركاً كان كذلك في الحيّ الحاضر أيضاً، ولو لم يكن ذلك في الأحياء شركاً لم يكن في الأموات والغيّب كذلك، فلا وقع لهذه الإشكالات الواهية والأباطيل السخيفة.

(١) المائدة: ٢.

(٢) الأنفال: ٧٢.

(٣) الكهف: ٩٥.

(٤) النمل: ٣٨.

خاتمة

وفيها تنبيهات:

الأوّل: إنّ الوسيلة ربّما تستعمل بمعنى الدرجة الرفيعة، وهو فيما إذا لم يكن متعدّياً بلفظة «إلى»، وقد وردت أخبار مستفيضة على أنّ النبيّ ﷺ صاحب الوسيلة.(١) وأنّ محمّداً لفي الوسيلة.(٢) وأنّ المندوب هو طلب الوسيلة من الله للنبيّ ﷺ كقوله: اللّهمّ بلّغ محمّداً درجة الوسيلة.(٣) وأسألك باسمك العظيم الأعظم الذي لاشيء أعظم منه ولا أجلّ منه ولا أكبر منه أن تصلّي على محمّد وآل محمّد في الأوّلين والآخرين، وأن تعطي محمّداً

---

(١) بحارالأنوار١٦: ١٣٠. نقلاً عن شرح الشّفا ١: ٤٨٥ ـ ٥٠٠.

(٢) المصدر السابق ٤٠: ٦٣. تفسير فرات الكوفي ٣٥٠: ٦ (٤٧٨) (سورة فاطر، الآية ٤١).

(٣) المصدر السابق ٩٨: ٣٦٦. إقبال الأعمال لابن طاووس ٦١٨ (الباب الخامس فيما نذكره ممّا يتعلّق بشهر ربيع الآخر، فصل: فيما نذكره من دعاء في غرَّة شهر ربيع الآخر) (حجريّ).

الوسيلة.(١)

وروى في البحار عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: كان رسول‌الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا سألتم الله فاسألوا لي الوسيلة. فسألنا النبيّ صلى الله عليه وآله عن الوسيلة فقال: هي درجتي في الجنّة، وهي ألف مرقاة جوهر إلى مرقاة زبرجد إلى مرقاة لؤلؤة إلى مرقاة ذهب إلى مرقاة فضّة، فيؤتى بها يوم القيامة حتّى تنصب مع درجة النبيّين، فهي في درجة النبيّين كالقمر بين الكواكب.(٢) الحديث

وروى في التوحيد والعيون عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال في ضمن خطبته: واختار الله عزّ و جلّ لنبيّه ما عنده من الروح والدرجة والوسيلة صلّى الله عليه و على آله الطاهرين.(٣)

---

(١) المصدر السابق ٩١: ٧٦ (ذيل الدُّعاء الآخر لعيد الأضحى).

(٢) بحارالأنوار ٧: ٣٢٦. كتاب العدل والمعاد، باب ١٧، (الوسيلة وما يظهر من منزلة النبيّ وأهل بيته صلوات الله عليهم في القيامة) معاني الأخبار ١١٦: ١ (باب معنى الوسيلة) الأمالي للصدوق ١٧٦: ٤ (١٨٠) (المجلس الرابع والعشرون) تفسير القميّ ٢: ٣٢٤ (سورة ق، الآية ٢٤). بصائر الدرجات: ٤٣٦: ١١ (الجزء الثامن، باب (١٨) في أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قسيم الجنّة والنار).

(٣) المصدر السابق ٤: ٢٢١ ـ ٢٢٣. التوحيد للشيخ الصدوق : ٧٢ ذيل الحديث ٢٦ (باب ٢، التوحيد ونفي التشبيه) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١٢٣: ذيل الحديث (١٥). (باب (١١) ماجاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد، خطبة أمير المؤمنين عليه السلام من مسجد الكوفة).

وروى في المناقب عن أنس: صلّى رسول الله ﷺ فلمّا ركع أبطأ في ركوعه حتّى ظننّا أنّه نزل عليه وحي، فلمّا سلّم واستند إلى المحراب نادى: أين عليّ بن أبي‌طالب وكان في آخر الصفّ يصلّي فأتاه فقال: يا عليّ لحقت الجماعة؟ فقال: يا نبيّ الله عجّل بلال الإقامة فناديت الحسن بوضوء فلم أر أحداً فإذا أنا بهاتف يهتف يا أباالحسن أقبل عن يمينك. فالتفتّ فإذا أنا بقدس(١) من ذهب مغطّى بمنديل أخضر معلّقاً فرأيت ماء أشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من العسل وألين من الزبد وأطيب ريحاً من المسك فتوضّأت وشربت وقطرت على رأسي قطرة وجدت بردها على فؤادي ومسحت وجهي بالمنديل بعد ما كان الماء يصبّ على يدي، وماأرى شخصاً ثمّ جئت يا نبيّ‌الله ولحقت الجماعة.

فقال النبيّ ﷺ: القدس من أقداس الجنّة والماء من الكوثر والقطرة من تحت العرش والمنديل من الوسيلة، والذي جاء به جبرئيل، والذي ناولك المنديل ميكائيل، وما زال جبرئيل واضعاً يده على ركبتي يقول: يا محمّد قف قليلاً حتّى يجيء عليّ فيدرك معك الجماعة.(٢)

الثاني: إنّ النسبة بين التوسّل والشفاعة هي عموم وخصوص من وجه لأنّه ربّما يكون التوسّل ولاشفاعة كما إذا قال المتوسّل: اللّهمّ إنّي أسألك

---

(١) القدس ـ بضمّتين ـ القدح.

(٢) بحارالأنوار ٣٩: ١١٥ ـ ١١٦ ومناقب آل أبي‌طالب ٢: ٢٧٦.

بجاه محمّد وآل محمّد أو بحقّ محمّد وآل محمّد، وربّما تكون الشفاعة ولاتوسّل كما إذا ابتدأ النبيّ بالشفاعة لبعض أُمّته من دون أن يتوسّل بعض الأُمّة إليه، وربّما يجتمع العنوانان كما إذا توسّل المتوسّل باستشفاع وليّ من أولياء الله وقال: يا رسول‌الله أسألك أن تتوسّط وتشفع لي.

وعليه فأدلّة الشفاعة تنفع لإثبات التوسّل في الجملة كما أنّ أدلّة التوسّل تنفع لإثبات الشفاعة في الجملة، فلاتغفل.

الثالث: إنّ اللازم علينا أن لانغفل عن هذه النكتة المهمّة وهي أنّ التوسّل بأهل‌البيت عليهم‌السلام لاينحصر في الدعاء وقضاء الحوائج، فإنّهم بنصّ الأدلّة وسائل الفيض والرضوان والاهتداء والتكامل والتخلّق بأخلاق الله والتقرّب إليه تعالى وقضاء الحوائج في جميع الأحوال، فابتغاء الوسيلة له عرض عريض، فعلينا أن نبتغي الوسيلة في جميع الشؤون حتّى نستفيد منهم في جميع الأحوال لا في خصوص حال دون حال كحال الحاجة، فافهم جيّداً.

وله الحمد أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً

٢٠ رمضان المبارك ١٤١٧

قم ـ السيّد محسن الخرّازيّ

الفهرس

المقدمة ٣

الفصل الأوّل

أدلّة مشروعية التوسل ٧

أوّلاً ـ الآيات ٨

ثانياً ـ الروايات ٢٤

القسم الأوّل ـ روايات العامة ٢٤

القسم الثاني ـ روايات الخاصّة ٣١

ثالثاً ـ السيرة القطعية ٣٩

الفصل الثاني

ردّ بعض الشبهات ٤٥

خاتمة ٥٥



